أشراط الساعة الصغرى

الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح للأمة فكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فاللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، ورسولاً عن دعوته ورسالته، وصل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وأتباعه، وعلى كل من اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أما بعد: حبيباتي الغاليات المباركات؛ قد يعجب الإنسان أشدّ العجب من هذا التفلت الأخلاقي، ومن هذا الكذب والنفاق، ومن أكل أموال الناس بالباطل، ومن تحلل الأسرة، وانتشار الفتن، وكثرة القتل والظلم، وكل هذا العجب يزول إذا اطّلع المؤمن على ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة الصغرى، فحينما يستمع مِنَ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى إلى أمارات الساعة الصغرى، فإن العجَب يزول ويقف وجهًا لوجه أمام الحقائق، ففيها وصف دقيق وكأن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعيش بيننا.

⇦جَعَلَ اللهُ سبحانه بَيْنَ يَدَيِ السَّاعةِ علاماتٍ وأماراتٍ؛ لِيَتذكَّرَ النَّاسِي، ويَهتدِيَ الضَّالُّ، ويتَّعظَ الغافلُ.

✉وتم بفضل الله الانتهاء من دراسة بعض علامات الساعة الصغرى، منها بعثة النبي ﷺ، وانشاق القمر، ووفاته ﷺ؛ وفتْح بيت المقدس، موتان كقُعَاص الغنم طاعون (عمواس)، واسْتِفَاضَةُ الْمَالِ، وفِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، وتسليم الخاصة، وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، وقطع الارحام، وشهادة الزور، كتمان شهادة الحق، وَظُهُورَ الْقَلَمِ، يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشُوَ الزنا وشرب الخمر، وتقليد اليهود والنصارى ونكمل اليوم علامات الساعة الصغرى التي تدل على اقتراب الساعة.....

27-نار الحجاز التي أضاءت أعناق الإبل ببصرى لها:

وردت أحاديث عن النبي ρ تبين أن من علامات الساعة خروج نار من أرض الحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى (مدينة معروفة بالشام).

فعن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: { لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَخْرُجَ نارٌ مِن أرْضِ الحِجازِ تُضِيءُ أعْناقَ الإبِلِ ببُصْرَى} بخاري.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عن علامةٍ مِنْ علاماتِ السَّاعةِ، ويُؤَكِّدُ أنَّها لا تَقُومُ حتَّى "تَخْرُجَ"، أي: تتفجَّرَ نارٌ مِنْ أرضِ الحِجازِ، ومِنَ المدينةِ المنوَّرةِ بالذَّاتِ، "تُضيءُ أعناقَ الإبلِ بِبُصْرَى"، أي: تَعلو النَّارُ وتُضيءُ الجوَّ، بحيث يَبلُغُ ضوءُها مِنْ أرضِ الحجازِ إلى الإبلِ الَّتي تَكُونُ بِبُصْرَى، فتَجْعَلُ على أعناقِهَا ضوءًا، تَظْهَرُ به في سَوادِ اللَّيلِ، وبُصْرَى مدينةٌ معروفةٌ بالشَّامِ، وهي مَدينةُ حَوْرَانَ، بينها وبين دِمَشْقَ نَحْوُ ثلاثِ مراحِلَ حوالي (120كيلومترا)، وقِيلَ: هي مدينةُ البَصرةِ.الدرر السنية

وقال القرطبي في التذكرة: " خرجت نار بالحجاز بالمدينة وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت وظهرت النار بقريظة عند قاع التنعيم بطرف الحرة ترى في صور البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة ومع ذلك فكان يأتي ببركة النبي المدينة نسيم بارد وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقتها وقال بعض أصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت أنها رئيت من مكة ومن جبال بصرى ".

قال النووي –رحمه الله –: " خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارا عظيمة جدا، من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة " النووي.

وقال ابن كثير –رحمه الله –:" في سنة أربع وخمسين وستمائة في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة ظهرت نار بأرض المدينة النبوية في بعض تلك الأودية طول أربعة فراسخ، وعرض أربعة أميال، تسيل الصخر حتى يبقى مثل الآنك، ثم يصير كالفحم الأسود، وان ضوءها كان الناس يسيرون عليه بالليل إلى تيماء (بلدة تقع شمال المدينة النبوية) وأنها استمرت شهرا، وقد ضبط ذلك أهل المدينة وعملوا فيها أشعارا " (النهاية في

الفتن والملاحم لابن كثير).

✉ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصري، شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز (البداية والنهاية ابن كثير).

📄وقال البرزنجي: بعد ذكره لهذه النار: " وهذه النار غير النار التي تخرج آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم، تبيت معهم وتقيل.

28-ومن أشراط الساعة عمران بيت المقدس وخراب المدينة:

جاء في حديث الحوالي أن صحابي من حوالة نزلَ عليَّ عبدُ اللَّهِ بنُ حوالةَ الأزديُّ فقالَ لي: بعثَنا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليَهِ وسلَّمَ لنغنمَ على أقدامنا فرجعنا، فلم نغنم شيئًا وعرفَ الجَهْدَ في وجوهنا فقامَ فينا فقالَ: اللَّهمَّ لا تَكِلْهُم إليَّ، فأضعفَ عنهم، ولا تَكِلْهُم إلى أنفسِهِم فيعجزوا عنها، ولا تَكِلْهُم إلى النَّاسِ فيستأثروا عليهم ثمَّ وضعَ يدَهُ على رأسي، أو قالَ: على هامَتي، ثمَّ قالَ: يا ابنَ حوالةَ، إذا رأيتَ الخلافةَ قد نزَلَت أرضَ المقدَّسةِ فقَد دنَتِ الزَّلازِلُ والبَلابلُ والأمُورُ العِظامُ، والسَّاعةُ يومَئذٍ أقرَبُ منَ النَّاسِ من يدي هذِهِ من رأسِكَ [رواه أبو داود: 2537، وصححه الألباني في صحيح الجامع : 7838].

قال" رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: يا ابنَ حَوَالَةَ، "إذا رأيتَ الخِلافةَ"، أي: الرِّياسَةَ والوِلايَةَ العامَّة، والمقصودُ هنا خِلافةُ النُّبُوَّةِ، "قد نزلتْ"، أي: صارتْ وانتقلتْ من المدينةِ إلى "أَرْضِ المقَدَّسَةِ"، أي: الشَّامِ؛ وقد وقَع ذلك في زَمن إمارَةِ بَنِي أُمَيَّةَ، "فقد دَنَتْ"، أي: قَرُبَت، "الزَّلازِلُ" جمع زَلْزَلَة؛ وهي هِزَّةُ الأرضِ وحَرَكتُها، "والبَلابِلُ"، أي: الهُمومُ والأحزان "والأُمورُ العِظام" مِن الدَّواهي والفِتَنِ، "والسَّاعةُ"، أي: أَشْراطُ السَّاعة وعَلامَاتُها، "يومئذٍ أقربُ من النَّاس من يَدِي هذه مِن رأسِك"، أي: إنَّها قَريبةٌ جدًّا. وفي الحديثِ: عَلَمٌ من أَعْلامِ النُّبُوَّةِ؛ حيثُ وقَع ما أَخبَر به النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وانتقلتِ الخِلافةُ إلى بِلاد الشَّام.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام في أحداث مرتبة وليست متتالية، لكن مرتبة ممكن بين الحدث والثاني مئات السنين لكن مرتبة قال: (عمرانُ بيتِ المقدسِ، خرابُ يثربَ، وخرابُ يثربَ، خروجُ الملحمةِ، وخروجُ الملحمةِ، فتحُ قسطنْطينيَّةِ، وفتحُ القسطنطينيةِ خروجُ الدجالِ. ثم ضربَ بيدِهِ على فخذِ الذي حدَّثَ أو منكبِهِ ثم قال: إن هذا لحقٌّ كما أنَّك هنا، أو كما أنك قاعدٌ) يعني: معاذَ بنَ جبلٍ -[رواه أبو

داود: 4296، وصححه الألباني صحيح الجامع: 4096].

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: "عُمْرانُ بيْتِ المقْدِسِ"، أي: أنْ يُعمَّرَ بيْتُ المقدِسِ؛ بكثْرَةِ النَّاسِ فيهِ، وانتِعاشِ التِّجارَةِ والمالِ، "خَرابُ يثْرِبَ"، أي: المدينةَ دارَ الهِجْرةِ؛ والمعنى أنَّ عُمْرانَ بيْتِ المقدِسِ علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتظَرُ بعْدها خرابُ المدينَةِ النَّبويَّةِ، وقيل: يتسبَّبُ في خرابِ المدينَةِ، أو أنَّ ذلك وقْتُ خَرابِ المدينَةِ، "وخَرابُ يثْرِبَ خُروجُ الملْحَمَةِ"، أي: إنَّ خُروجَ الملْحَمَةِ علامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظرُ بَعدَها، وقيل: إنَّ وقْتَ خَرابِها أو بسبَبِ خرابِها يكونُ خُروجُ الملْحَمَةِ، وهي الحربُ العَظيمةُ بين المسلِمين بالشَّامِ والرُّومِ، وقيل: بين المسلِمين بالشَّامِ والتَّتارِ، "وخُروجُ الملْحمَةِ"، أي: علامَةٌ ظاهِرَةٌ يُنتَظَرُ بَعدها "فتْحُ القُسطنطينِيَّةِ"، وقيل: إنَّ فتحَ القُسطنطينِيَّةِ يكونُ وقْتَ خُروجِ الملْحمَةِ أو بسبَبِها، والقُسطنطينِيَّةُ مَدينةٌ جانِبٌ منها في آسيا، وجانِبٌ في أوربَّا، ويَفْصِلُ الجانبين البحْرُ؛ والمعنى أنَّ فتْحَها مِن قِبَلِ المسلِمين علامَةٌ ظاهِرةٌ يُنتَظَرُ بَعدَها "خُروجُ الدَّجَّالِ"، وقيل: خُروجُ الدَّجَّالِ يكون وقتَ فتْحِها أو بسبَبِه، والدجَّالُ هو الأعْوَرُ الكذَّابُ مُدَّعي الألوهِيَّةِ، "ثمَّ ضرَبَ بيَدِه"، أي: ضرَبَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم بيَدِه، "على فَخِذِ الَّذي حدَّثَه"، أي: مُعاذٌ "أو مَنْكِبِه"؛ شكٌّ من الرَّاوي، ثمَّ قال: "إنَّ هذا"، أي: ما حدَّثتُ بِهِ ممَّا سيَحدُثُ في المستقبَلِ، "لحَقٌّ"، أي: كائنٌ لا مَحالَةَ، ثمَّ أوْضَحَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم مِثالَ وقوعِهِ، فقال: "كما أنَّك هنا"، أو "كما أنَّك قاعِدٌ"، "يعني: معاذَ بنَ جبَلٍ"، أي: هذا الكلامُ حَقٌّ واقِعٌ كما أنَّك أَمامي. الدرر السنية

29-تقارب الزمان:

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ...."

"لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يتقارَبَ الزَّمانُ ، فتَكونُ السَّنةُ كالشَّهرِ، والشَّهرُ كالجُمُعةِ ، وتَكونُ الجمعةُ كاليَومِ، ويَكونُ اليومُ كالسَّاعةِ ، وتَكونُ السَّاعةُ كالضَّرمةِ بالنَّارِ"صحيح الجامع

✉وبيَّن النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم أنَّ مِن ضِمن تلك العَلاماتِ نَزْعَ البرَكةِ مِن الوقتِ حتَّى يتَقارَبَ الزَّمانُ؛ كما في هذا الحديثِ، حيثُ يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم: "لا تقومُ السَّاعةُ"، أي: لا يأتي يومُ القيامة حتَّى تَظهَرَ عَلاماتُه، ومِن عَلاماتِ يومِ القيامةِ: "حتَّى يتَقاربَ الزَّمانُ"، أي: تُنزَعَ البرَكةُ مِن

الوقتِ فيَقِلَّ الزَّمنُ، وتُنزَعَ فائِدتُه، أو أنَّ النَّاسَ لِكَثرةِ انشِغالِهم بالفِتَنِ والنَّوازِلِ والشَّدائدِ، لا يَدْرون بالوقتِ ولا كيف تَنقَضي أيَّامُهم ولَياليهم، "فتَكونُ السَّنةُ كالشَّهرِ"، أي: تَمُرُّ السَّنةُ كمُرورِ شهرٍ لا بَرَكةَ فيها، "والشَّهرُ كالجُمعةِ"، أي: ويَمُرُّ الشَّهرُ كأنَّه أسبوعٌ لا بركةَ فيه، "وتكونُ الجمعةُ كاليومِ"، أي: ويمُرُّ الأسبوعُ كمُرورِ النَّهارِ في اليومِ لا بَرَكةَ فيه، "ويَكونُ اليومُ كالسَّاعةِ"، أي: ويَمُرُّ اليومُ كأنَّه ساعةٌ مرَّت لا بَرَكةَ فيه، "وتَكونُ السَّاعةُ كالضَّرْمةِ بالنَّارِ"، أي: وتمُرُّ السَّاعةُ كأنَّها نَبتةٌ احتَرقَت بسُرعةٍ فلم تَأخُذْ وَقتًا ولا زمَنًا، وقيل: الضَّرمةُ ما يُشعَلُ به النَّارُ كالكِبْريتِ أو القَصبِ، وقيل: هي غُصْنُ نخلٍ في طرَفِه نارٌ، وهذا كلُّه يَدُلُّ على نزْعِ البرَكةِ مِن الزَّمانِ ومُرورِ الوقتِ سَريعًا، وعدَمِ الاستِفادةِ مِنه لِسُرعتِه، وقلَّةِ بَرَكتِه.الدرر السنية

30-الفتن:

من أشراط السَّاعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان ويتغير الحال من إيمان إلى كفر ومن كفر إلى إيمان بين اليوم والآخر.

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن ظهور الفتن وكثرتها من أشراط الساعة

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، ويَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وتَظْهَرَ الفِتَنُ، ويَكْثُرَ الهَرْجُ -وهو القَتْلُ القَتْلُ- حتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المالُ فَيَفِيضَ"

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تكونُ بينَ يدي السَّاعةِ فِتَنٌ كقطَعِ اللَّيلِ المظلِمِ يصبِحُ الرَّجلُ فيها مؤمِنًا ويمسي كافِرًا ويمسي مؤمِنًا ويصبِحُ كافِرًا يبيعُ أقوامٌ دينَهم بعرَضٍ منَ الدُّنيا " (صحيح الجامع:2049).

⇦فهذا وصف لزمان تكثر فيه الفتن، وينتشر الفساد بين العباد، وتسوء الأخلاق، ويكثر الشقاق، ويعم البلاء.

✉من شِدَّةَ الفِتَنِ يَكونُ المرءُ في الْتِباسٍ مِنها؛ لأنَّها تَكونُ كَقِطَعِ اللَّيلِ المظلِمِ لا يَتميَّزُ بَعضُها مِن بَعضٍ، يُصبِحُ الرَّجلُ مُؤمِنًا وَيُمسي كافِرًا، أو يُمْسي مُؤمِنًا ويُصبِحُ كافِرًا، أي: يَأتيهِ مِنَ الفِتنِ ما تَزِلُّ به قَدمُه عَن صِفَةِ الإيمانِ؛ وَهذا لِعِظَمِ الفِتنِ يَنقَلِبُ الْإنسانُ في الْيومِ الواحِدِ هذا الانقِلابَ، يَبيعُ دِينَهُ، أي: يَترُكُه بعَرَضٍ

مِنَ الدُّنيا، أيْ: يَترُكُ دِينَه مِنْ أجلِ مَتاعٍ دَنِيءٍ وَثَمنٍ رَدِيءٍ. الدرر السنية

✉وكلما طال الزمان بأهله وبعد بهم كانت الفتن أشد ومصائبها أعظم، أي: يَصِيرُ بعضُها رقيقًا، أي: خفيفًا؛ لعِظَمِ ما بعدَه كما شهدت بذلك نصوص الشرع، ودلت عليه الحوادث والوقائع، فعن الزبير بن عدي قال: { أَتَيْنَا أَنَسَ بنَ مَالِكٍ، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ ما نَلْقَى مِنَ الحَجَّاجِ، فَقالَ: اصْبِرُوا، فإنَّه لا يَأْتِي علَيْكُم زَمَانٌ إلَّا الذي بَعْدَهُ شَرٌّ منه، حتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ مِن نَبِيِّكُمْ ρ } البخاري الفتن.

(أنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصَارِ قالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، ألَا تَسْتَعْمِلُنِي كما اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ قالَ: سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ) صحيح البخاري

📝أي: ستجدونَ بَعْدي مَن يُفضِّلُ عليكم غَيرَكم في الأموالِ وغيرِها، فَيُعطِيهم ما لا يُعطِيكم، ويَستعملُهم في الوظائفِ والولاياتِ ما لا يستعملُكم؛ فاصبرُوا على ما تلْقَوْنه في الدُّنيا حتَّى تلْقَوْني على الحوضِ في القيامةِ سالِمينَ مِنَ التَّنافُسِ والتَّباغُضِ في حُطامِ الدُّنيا، فعندها تُوفَّونَ أُجوركم مِنَ اللهِ تعالى. الدرر السنية

قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (تُعْرَضُ الفِتَنُ علَى القُلُوبِ كالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأَيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها، نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حتَّى تَصِيرَ علَى قَلْبَيْنِ، علَى أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السَّمَواتُ والأرْضُ، والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبادًّا كالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ) رواه مسلم

✉كالحصير يعني عدد كبير جداً، فالفتن تَرِدُ على القلب شيئًا شيئًا، وبما أن الإنسان قابل للخير والشر؛ إذ فيه عقلٌ وشهوة، فإنَّ شهوته إذا غَلَبَتْ عَقْلَهُ وَلِجَتِ الفِتْنَةُ قلبه، وإذا غلب عقله شهوته رفض الفتنة وأنكرها، حتى تصير القلوب على قلبين يعني تنقسم البشرية إلى صنفين: قلب صالح سليم طيب ((أبيض مثل الصفا)) والصفا: هو الحجر الأملس الذي لا يَعْلَقُ به شَيْءٌ، وكذلك القلب السليم لا تَعْلَقُ به فِتْنَةٌ؛ ولذا قال: ((فلا تَضُرُّه فِتنةٌ ما دامت السموات والأرض))، وأما الآخر فداخلته الفتنة وأُشربها؛ حتى امتلأ بها، وتراكمت عليه فسودته آثارها، قال: ((والآخر أسود مُرْبَادًّا؛ كالكوز مُجَخيًا))؛ أي: كالكأس المائل أو المنكوس ، يسكب ما في داخله من الإيمان بقدر ميوله إلى الهوى، وانتكاسه عن الحق، كما يسكب الكأس ما فيه من ماء بقدر ميوله وانتكاسه. الألوكة

📄قال المنذري –رحمه الله تعالى –: "ومعنى الحديث: أن القلب إذا افتتن وخرجت منه حرمة المعاصي

والمنكرات خرج منه نور الإيمان؛ كما يخرج الماء من الكوز إذا مال وانتكس".

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : (أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلَالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ) رواه البخاري ، وهذا دليل على أن الفتن تعم الجميع كما أن المطر حين ينزل يعم جميع البيوت ، وظهور الفتن المراد بها ما يُؤثر في أمر الدين وتكون سببا في بعده عن الله والدار الآخرة حتى أن الرجل لينقلب انقلاب عجيباً في اليوم الواحد من الإيمان إلى الكفر، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فبئس البيع وبئس المشْتَرَى.

وعن أبي هريرة τ أن رسول الله ρ قال: {فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا} مسلم

وكما وصفها رسولنا الكريم كقطع الليل أي المتتابعة المظلمة المدلهمة تزداد وتزداد حتى يتمنى الرجل الموت وليس به الدين إلا البلاء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عند قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ :(والذِي نَفْسِي بِيَدِه لاَ تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بالْقَبْرِ، فيتمَرَّغَ عَلَيْهِ، ويقولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبِ هذَا الْقَبْرِ، وَلَيْس بِهِ الدَّين وما بِهِ إلاَّ الْبَلاَءُ) متفقٌ عليه.

قال ابن بطال: يُتمنى الموت ويُغبط أهل القبور عند ظهور الفتن إنما لخوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر.

✉حتى أن الصحابي الجليل عبد الله بن الصامت يحدث الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه بقوله: (يُوشِكُ أَنْ تَمُرَّ الْجِنَازَةُ فِي السُّوقِ عَلَى الْجَمَاعَةِ فَيَرَاهَا الرَّجُلُ فَيَهُزَّ رَأْسَهُ فَيَقُولَ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَ هَذَا، قُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ؟ قَالَ: أَجَلْ).

وفي ضوء كل هذه الفتن نفهم المراد من قوله عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري أنه كان يحدِّثُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُرَّ عليه بجنازةٍ فقال: مُرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: (مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ؟ وَمَا الْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْفَاجِرُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ).

📄قال ابن حجر في فتح الباري: قال الداودي: أما استراحة العباد؛ فلما يأتي به من المنكر، فإن أنكروا

عليه آذاهم، وإن تركوه أثموا، واستراحة البلاد مما يأتي به من المعاصي، فإن ذلك مما يحصل به الجدب فيقتضي هلاك الحرث والنسل. اهـ.

⇦أما العبدُ المؤمنُ يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عز وجل، والعبدُ الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذه جُعِلَتْ عَافِيَتُها في أولِها وإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلاَءٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَها ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُها بَعْضًا فيقولُ المؤمنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ فيقولُ المؤمنُ هذه مُهْلِكَتِي ثُمَّ تَنْكَشِفُ فمَنْ سَرَّهُ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النارِ ويُدْخَلَ الجنةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وهوَ يُؤْمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ ولْيَأْتِ إلى الناسِ الذي يحبُّ أنْ يَأْتُوا إليهِ....) صحيح ابن ماجه

وعن حذيفة τ قال: {كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ وإِمَامَهُمْ، قُلتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ} بخاري.

✉ وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى ما يعصمهم من هذه الفتن والشرور والآثام فأمرهم بالتعوذ بالله منها وبالابتعاد عنها مع المبادرة بالأعمال الصالحة والإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر ولزوم جماعة المسلمين.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم {قالَ: تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الفِتَنِ، ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ قالوا: نَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الفِتَنِ ما ظَهَرَ منها وَما بَطَنَ} مسلم.

✉فلابد من اللجوء إلى الله والإعتصام بالعمل الصالح والإستمساك بالعروة الوثقى فهي الحبل المتين من

استمسك به فاز ومن تعلق به نجا

عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت:(اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً فَزِعًا يَقُولُ: (سُبْحَانَ اللَّهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنْ الْفِتَنِ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّينَ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ) رواه البخاري

على الإنسان أن يستمسك بدينه في زمن الفتن:

✉قال ابن بطال: في هذا الحديث ان الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه وان يبخل به فيمنع الحق او يبطر صاحبه فيسرف وفي الحديث الندب إلى الدعاء والتضرع عند نزول الفتنة ولاسيما في الليل رجاء وقت الإجابة لتُكشف او يُسلم الداعي ومن دعى له.

فقد أخرج الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناسِ زمانٌ الصابِرُ فيهم على دينِهِ كالقابضِ على الجَمْرِ" (الصحيحة: 2157).

قال القاري كما في "تحفة الأحوذي" (6 /539):"والظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمر إلا بصبرٍ شديد، وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم" اهـ

ولهذا يعطي الله تعالى المستمسك بدينه في زمن الفتن أجراً عظيماً، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ مِنْ ورائِكُم زمانُ صبرٍ ، لِلْمُتَمَسِّكِ فيه أجرُ خمسينَ شهيدًا منكم " (صحيح الجامع: 2234).